خطبة صلاة الجمعة 26/ 12/ 2014 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال, في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

(سمعتُ رسولَ الله –1–)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فهو المهتَدِ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرْشِداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه ولو كَرِه الكافرون، ولو كَرِهَ المشركون، ولو كَرِهَ مَن كَرِه، اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال الله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ [المائدة: 15]. قال المفسرون: النُّور، هو سيِّدنا محمَّد صلى الله عليه وسلم.

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ [الأحزاب: 45-46] قال المفسرون: سمَّى الله تعالى نبيه الكريم في هذه الآية: سراجاً منيراً.

وقال سبحانه: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾, [النساء: 80]

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«إن من أفضل أيامكم يومَ الجمعة، فأكثروا عليَّ من الصلاة فيه، فإنَّ صلاتكم معروضة عليَّ»** [أخرجه أبو داود والنسائي]

قال الإمام مالك: (لقد رأيتُ عامرَ بن عبد الله بن الزبير، فإذا ذُكِر عنده النبيُّ صلى الله عليه وسلم بكى حتى لا يبقى في عينيه دموع).

وكان عبد الرحمن بن القاسم إذا ذُكِر عنده النبيُّ صلى الله عليه وسلم يُنْظَر إلى لونه كأنَّه قد نزف منه الدم، وقد جفَّ لسانُه في فمه.

سُئل سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه: كيف كان حبُّكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: (كان والله أحبَّ إلينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا، ومِنَ الماءِ الباردِ على الظَّمأ).

وقال الشيخ أحمد الرفاعي: (كمالُ المعرفةِ بالله الأخذُ بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، والعملُ بسُنَّته، وهذا القامعُ للنَّفس).

أيُّها الإخوة:

بمناسبة دخول شهر ربيع الأوَّل، شهرِ ولادة سيِّدنا محمَّد صلى الله عليه وسلم، أحببتُ أن أخطبَ فيكم خطباً أربعةً تتحدَّث عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم.

لتطربَ الروحُ عند تكرار ذكره، ويسكنَ الفؤادُ عند سماعِ حديثه، ويرتاحَ القلبُ المشوقُ عند ورود اسمه.

فلا زال المحبون يتعللون بالسماع حين تفوتهم الرؤيا واللقاء.

ولله در ابن الفارض حين أنشد:

أَدِرْ ذِكْـرَ مَنْ أَهـوى ولـو بملامي ... فـإنَّ أحـاديثَ الحبيبِ مُـدَامي

لِيَشْـهَد سمعي مَنْ أُحِبُّ وإن نأى ... بطيـفِ مُلام لا بطيـفِ مَنَـامِ

والخطب الأربع في شهر ربيع عنوانها (**سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم**)

أختارُ لكم في كلٍّ منها طائفةً من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم ، كلٌّ منها تحكي موضوعاً.

لنقتفي أثرَه أوَّلاً، ولنكثرَ الصَّلاة والسلام عليه ثانياً. ولنزداد منا قرباً وله حباً صلى الله عليه وسلم.

خطبة اليوم هي مجموعة أحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم تتناسب مع ذكرى ميلاد سيدنا عيسى عليه السلام، وتتحدث عنه. وقد اخترتها لكم من كتاب جامع الأصول.

وكتاب (**جامع الأصول في أحاديث الرَّسول**) جَمَعَ فيه مؤلِّفه الأحاديثَ النَّبوية المودَعة في الأصول السِّتَّة المعتمَدة عند الفقهاء والمحدِّثين: (موطأ مالك، وصحيحي البخاري ومسلم، وسنن أبي داود والنَّسائي، وجامع التِّرمذي)، التي حَوَت معظم ما صحَّ عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم.

ومؤلفه ابن الأثير الجزري، مُحدِّثٌ لُغويٌّ أُصوليٌّ، وُلد ونشأ في جزيرة (ابن عمر) بتركيا، أُصيب بمرض أبطلَ حركةَ يديه ورِجليه، ولازَمَه إلى أن توفِّيَ سنة ست وستمائة للهجرة، قيل: إنَّ تصانيفه كلَّها ألَّفها في زمن مرضه، إملاءً على طلبته، وهم يعينونه بالنَّسخ والمراجعة.

والآن إلى الأحاديث العشرة أسردها عليكم سرداً:

1-عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «**أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِابْنِ مَرْيَمَ، وَالأَنْبِيَاءُ أَوْلاَدُ عَلَّاتٍ، لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ**» [البخاري]

(أولى الناس) أخص الناس به وأقربهم إليه لأنَّه بشَّر به، أو لأنَّه لا نبي بينهما، فكأنهما في زمن واحد.

(أولاد علَّات) هم الأخوة لأب واحد من أمهات مختلفة. والمعنى أنَّ شرائعهم متفقة من حيث الأصول وإن اختلفت من حيث الفروع.

2-عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «**مَا مِنْ بَنِي آدَمَ مَوْلُودٌ إِلَّا يَمَسُّهُ الشَّيْطَانُ حِينَ يُولَدُ، فَيَسْتَهِلُّ صَارِخًا مِنْ مَسِّ الشَّيْطَانِ، غَيْرَ مَرْيَمَ وَابْنِهَا**» ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ: ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: 36] [البخاري]

3-عَنْ عُبَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «**مَنْ شَهِدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ الجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ العَمَلِ**» [البخاري]

(على ما كان من العمل) أي يكون دخوله الجنة على حسب ما قدم من أعمال في الدنيا، فإن لم تكن له ذنوب يعاقب عليها بالنار كان من السابقين، وإن كانت له ذنوب فأمْرُه إلى الله تعالى إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه ثم كانت نهايته إلى الجنة.

4-عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: سمعتُ عُمَرَ رضي الله عنه يقول على المنبرِ: سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**لا تُطْرُوني كما أَطْرَتِ النصارى ابنَ مريم، فإنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسولُه**» [البخاري].

(لا تطروني) الإطراء: مجاوزةُ الحدِّ في المدح، والكذبُ فيه.

5-عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «**رَأَى عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَجُلًا يَسْرِقُ، فَقَالَ لَهُ: أَسَرَقْتَ؟ قَالَ: كَلَّا وَاللَّهِ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلَّا هُوَ، فَقَالَ عِيسَى: آمَنْتُ بِاللَّهِ، وَكَذَّبْتُ عَيْنِي**» [البخاري]

(آمنتُ بالله وكَذَّبتُ عيني) قاله عليه السلام مبالغة في تصديق الحالف بالله تعالى.

6-عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: قال لي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «**ما أظلَّتِ الخضراءُ، ولا أقلَّتِ الغبراءُ مِنْ ذِي لَهْجَةٍ أصْدَقَ ولا أوْفى مِن أبي ذرّ، شبهِ عيسى ابن مريم**» . وفي رواية: «**أبو ذر يمشي في الأرض بزهد عيسى ابن مريم**» [الترمذي].

7-روى الإمام مالك بن أنس في الموطأ، بلغه أنَّ عيسى ابنَ مريم كان يقول: (لا تُكْثِرُوا الكلام بغيرِ ذِكْرِ الله، فتَقْسوَ قلوبُكم، فإن القَلْبَ القاسيَ بعيدٌ من الله، ولكن لا تعلمون، ولا تنظروا في ذُنُوب الناس كأنَّكم أربابٌ، وانظروا في ذُنُوبكم كأنكم عبيد، فإنما الناسُ مُبْتَلى ومعافى، فارحَمُوا أهلَ البلاءِ، واحْمَدوا الله على العافِيةِ) .

8-وفي الموطأ أيضا عن الإمام مالك بن أنس عن يحيى بن سعيد أنَّ عيسى ابن مريم عليه السلام لَقِيَ خنزيراً على الطريق، فقال له: (انفُذْ بسلام)، فقيل له: تقول هذا لخنزير؟ فقال عيسى: (إني أخاف أن أُعَوِّد لساني النطق بالسوء).

9- عن عبد الله بن عمر قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: **«أَرَانِي اللَّيْلَةَ فِي المنام عِند الكَعْبَةِ، فَإِذا رَجلٌ آدَمُ، كأحسَنِ مَا تَرى مِنْ أُدْمِ الرِّجالِ، تَضْرِبُ لِمَّتُهُ بين مَنكبَيْهِ، رَجِلُ الشَّعْرِ، يَقْطُرُ رَأْسُهُ مَاء، وَاضِعاً بِيَديهِ على مَنكبَيْ رَجُلينِ، هو بينهما، يطوفُ بالبيت. فقلت: مَنْ هذا؟ فقالوا: المسيحُ ابْنُ مَريمَ»** [البخاري]

10- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: **«حَسبُك من نساء العالمين: مريمُ بنتُ عمران، وخديجةُ بنتُ خويلد، وفاطمةُ بنتُ محمد صلى الله عليه وسلم، وآسِيَةُ امرأة فرعون»** [الترمذي].

أيها الإخوة:

هذه الأحاديث النبوية الشريفة وأشباهها مع ما نزل من آي القرآن الكريم متحدثاً عن سيدنا عيسى عليه السلام، وأمِّه البتول أنتج تعاليم لم يرَ التاريخ مثلها في التعامل مع أهل الكتاب.

كتب سيّدنا خالدٌ عهداً لأهل الحيرة -وهم من أهل الكتاب- وأقرَّه عليه أبو بكر الصِّدِّيق جاء فيه: (وجعلت لهم: أيُّما شيخٍ ضَعُفَ عن العمل، أو أصابته آفةٌ من الآفات، أو كان غنياً فافتقر وصار أهلُ دِينه يتصدَّقون عليه، طَرَحتُ جزيته وعِيلَ من بيت مال المسلمين وعيالُه، ما أقام بدار الهجرة ودارِ الإسلام).

عن أبي بكرة قال: (مرَّ عمر بن الخطاب بباب قومٍ وعليه سائل شيخ ضرير من أهل الكتاب يسأل، فضرب عمر عضُدَه مِن خلفه وقال: ما ألجأك إلى ما أرى؟ قال: أسأل الجزيةَ والحاجةَ والسِّن، قال: فأخذ عمرُ بيده وذهب به إلى منزله، فرضخ له بشيء من المنزل، ثمَّ أرسل إلى خازن بيت المال، فقال: انظر هذا وضرباءه، فوالله ما أنصفناه أن أكلنا شبيبته ثمَّ نخذله عند الهرم: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاء

وَالْمَسَاكِينِ﴾ [التَّوبة: 60]، والفقراء هم المسلمون، وهذا من المساكين من أهل الكتاب، ووضعَ عنه الجزية وعن ضُرَبَائه).

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: 56]

والحمد لله رب العالمين